المحاضرة4

السرد الاجتماعي "فن المقامة"

يتناول الأدب حياة المجتمع وما يحكمها من جميع جوانبها ومظاهرها: الاجتماعية والثقافية والسياسية....فهو يتصل بكل ذلك، ومن أبرز الأشكال السردية في الأدب العربي القديم التي تعنى بنقل الجانب الاجتماعي لأجل المتعة والفائدة نجد المقامة.

يعد العصر العباسي أزهى عصور الأدب العربي؛ حيث انفتحت الأمة العربية وتأثرت بالأمم الأخرى، وكان الإقبال على القرآن الكريم مجالا خصبا للكشف عن غايات القرآن ومقاصده، وتتبع أسلوب نظمه، كما كان العصر مسرحا للفضاء النقدي، وتنوعت فيه الفنون الأدبية وبلغت درجة من النضج، كما ظهرت مجموعة من العلماء والأدباء والشعراء ذاع صيتهم مثل: المتنبي، الخوارزمي، أبو حيان التوحيدي، الشريف الرضى، المعري، وابن سينا، الجرجاني، ابن النديم.... وكان فن المقامة –موضوع درسنا– من الفنون النثرية التي شهدها العصر.

نشأة المقامة:

ظهر فن المقامة في النصف الثاني من القرن 4 هجري، وهو أزهى عصور العصر العباسي، وترجّح الآراء والدراسات التاريخية إلى أن نشأة فنّ المقامات في الأدب العربيّ يعود إلى أبي بكر بن دريد وأحمد بن فارس، ولكن لم يصلنا من المقامات التي ألّفاها إلا عدد قليل جدا، ويرتبط فن المقامات بالأديب أبو الفضل السعيد الهمذاني الحافظ المعروف ببديع الزمان الهمذاني، ولد سنة 969م بهمذان، وانتقل إلى خراسان واستقر بها، تميز بالذكاء والفطنة، كتب العديد من المقامات المشهورة،

يقول القلقشندي في صبح الأعشى (واعلم أن أول من فتح باب عمل المقامات، علامة والدهر وإمام الأدب، البديع الهمذاني، فعمل مقاماته المشهورة، المنسوبة إليه، وهي في غاية من البلاغة، وعلو الرتبة في الصنعة. ثم تلاه الإمام أبو محمد

القاسمي الحريري، فعمل مقاماته الخمسين المشهورة فجاءت نهاية في الحسن، واتت على الجزء الوافر من الحظ، واقبل عليها الخاص والعام)

تعريف المقامة :

المقامة هي(المجلس والجماعة من الناس، والمقامة بضم الميم :الموضع الذي تقيم فيه)، المقامات جمع(مقامة وهي المجلس الذي يجتمع فيه لتداول واستماع أطراف الحديث، لأن المستمعين للمحدث ما بين قائم وجالس، ولأن المحدث يكون قائما في بعض حديثه وجالس في بعضه الآخر)، وهي(أحاديث لغوية يلقيها راوية من الرواة على جماعة من الناس، بقالب قصصي، يقصد فيه إلى التسلية والتشويق، لا إلى تأليف القصة والتحليل).

المقامة إحدى فنون الأدب العربي النثرية المطعمة أحياناً بالشعر، وقد اتسمت بخصائص القصة، لذلك وهي أقرب إلى أن تكون قصة قصيرة مسجوعة، وحكاية خيالية أدبية بليغة.

إنها (نوع أدبي ولون نثري له خصائصه الفنية ودعائمه الأساسية، يتوخى مؤلفها طرح ما يشاء من أفكار أدبية، أو خواص تأملية أو انفعالات وجدانية، أو مهارات لغوية، في صورة ملامح بديعية وسمات زخرفية،)، بغرض التكسب واستمالت قلوب الناس واستعطافهم لا سيما الأغنياء منهم.

عناصر المقامة:

تقوم المقامة على عناصر مهمة:

الراوي:

يكون في كل مقامة راوٍ معين باسمه، يتكرر في جميع المقامات، فراوي مقامات الهمداني مثلاً هو (عيسى بن هشام) وراوي مقامات الحريري هو (الحارث بن همام) ..وهو من ينقلها عن المجلس الذي تقع فيه، ينتمي في غالب الأحيان إلى طبقة اجتماعية متوسطة، يتابع البطل أو يصادفه، ويمهد أحياناً لظهوره، ويبدو وكأنه

يتبعه أينما مضى، ويحسن طريقة تقديمه، ويسخط في غالب الأحيان على أخلاق البطل واحتياله وخداعه، ولا يكتشف أمره أحياناً إلا في نهاية المقامة.

البطل:

ويكون لكل مجموعة مقامات معينة بطل قصتها الذي تدور حوله، وتنتهي بانتصاره في كل مرة، وهو يتكرر في جميع المقامات تماماً كالراوي باسمه وشخصه، فبطل مقامات الهمداني مثلاً هو (أبو الفتح الأسكندري)، وبطل مقامات الحريري هو (أبو زيد السروجي)، وهو شخص خيالي – غالباً – مخادع ينتمي إلى شريحة المحتالين الأذكياء البلغاء، الذين يستخدمون الحيلة والفطنة والدهاء في استلاب الناس أموالهم، لذا فإن أبرز ميزات البطل الشحاذ هي أن يكون خفي المكر، لين المصانعة، فتيق اللسان، واسع المعرفة في صنوف الأدب وغريب اللغة وأحكام الدين وصنوف العلم، فهو شاعر وخطيب وواعظ، يتظاهر بالإيمان والزهد ويضمر الفسق والمجون، ويتصنع الجد ويخفي في طياته الهزل، ويظهر غالباً كشخص مسكين متهالك بائس، إلا أنه في واقع الأمر طالب منفعة.

القصة:

هي التي تدور كافة أحداث المقامة حولَها، والتي ترتبط بالراوي، والبطل، وكافة الشخصيات الثانويّة الأخرى، و تشير هذه القصة إلى نكتة، أو فكاهة معينة، أو قد ترتبط بسلوكٍ إنساني معين، أو بموضوع ما، سواءً أكان لغوياً، أو أدبياً، أو بلاغياً أو غيرها، وتنتهي الفكرة الرئيسية للمقامة مع انتهائها، والوصول إلى نتيجةٍ معينة.

خصائص المقامة:

تعتمد المقامة على الزخرف الفني وهي غاية تصنيعية يقصد إليها المؤلف قصدا حيث يلتزم السجع والجناس، وفنون البلاغة المتنوعة من تشبيهات وكنايات واستعارات واقتباس، ومقابلة وموازنة وما إلى ذلك، فهي فن تزويق وتأنق لفظي.

تتضمن نصوصا من القرآن والحديث وكلام العرب والأمثال، والأبيات الشعرية الغريبة... مما أسهم في انتشارها بين الناس، واهتمامهم في متابعتها، من أجل إدراك الفائدة المرتبطة بنص المقامة.

فصاحب المقامة(يعمل على تجويدها ما استطاع، فيكب على العبارة يركبها تركيب جزالة وأناقة، ويوشيها بوجوه البيان والبديع، حتى لكأن الحرف فيها ينافس الحرف في الأداء، واللفظة تساجل اللفظة في الزخرفة، وحتى لكأن هناك عالما من الفسيفساء العجيبة)

: